بناء الشخصية ورمزيتها في رواية : اللاز" للطاهر وطار

Character Building and Symbolism in the novel of L'as by Tahar Ouettar

ط / د: عبدالعالي أحمدالصالح
abdelaliahmedsalah@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/08/26	تاريخ القبول:2020/11/01	تاريخ النشر: جانفي 2021

الملخص: إذا كانت الرواية في أحد أهم تعريفاتها هي صورة الحياة، فإن عملية الإدراك المادي المحسوس للحياة لا يمكن- بل يستحيل- أن يتم دون ثلاثة عناصر أساسية متلازمة حينا، ومستلزمة لبعضها حينا آخر، وهي المكان والزمان والشخصية أو بالأحرى الفعل والفاعل ومأواهما. ولأهمية الشخصية الروائية نود أن نبرز في هذا المقال بنية الشخصية الثورية ورمزيتها، من حيث تعريف القراء بتاريخهم، بالإضافة إلى ما تتضمنه أحداث التاريخ من دروس و عبر، مع التركيز على الأداء البطولي وإبراز القيم الأخلاقية من تضحية ووفاء و غيرهما من مختلف الصفات والأخلاق التي يجب على الفرد أن يتحلى بها أو أن يتجنبها. فكيف بنى وطار شخصيات روايته" اللاز"، وإلى أي مدى وفق في إبراز أهميتها ورمزيتها وأبعادها؟

الكلمات المفتاحية: الشخصية، اللاز، الرمز، الثورة، الرواية.

Abstract: If the novel in one of its most important definitions is the picture of life, then the process of physical perception of life cannot take place without three basic elements that are interrelated at thesame time, all of them are required to complete one another, which are space, time, personality, i.e., action, subject, and their place. Based on the significance of the fictional character, we would like to highlight in this research the structure and symbolism of the revolutionary personality, in terms of introducing readers to their history, in addition to the lessons and transitions of the events of history, with a focus on

heroic performance and highlighting the moral values of sacrifice, loyalty, and other different qualities and morals that the individual should adhere to or avoid. How did TaharOuettar build the characters of his novel "L'as", and to what extent did he succeed in highlighting their significance, symbolism, and dimensions?

Key words: character, L'as, symbol, revolution, novel.

مقدمة:

تعتبر رواية "اللاز" بمثابة أول تجربة روائية للطاهر وطار، عالج فيها الخلافات والإشكالات التي صاحبت مسيرة الثورة الجزائرية، كما طرح الكاتب مشكل الاستعمار وما فرضه من نظم على البلاد التي احتلها. وهكذا أخرج لنا هذه الملحمة الروائية التي أعادت النّظر في التاريخ بشكل علمي صحيح، كما يرى الطاهر وطار، حيث وضح من خلالها المهمة الإيديولوجية التي يولّدها الفن الروائي بطريقة رمزية.

وإذا كانت الرواية في أحد أهم تعريفاتها هي صورة الحياة، فإن عملية الإدراك المادي المحسوس للحياة لا يمكن- بل يستحيل- أن يتم بدون ثلاثة عناصر أساسية متلازمة حينا، ومستلزمة لبعضها حينا آخر، وهي المكان والزمان والشخصية أو بالأحرى الفعل والفاعل ومأواهما. ولهذا نحاول في هذه الدراسة الوقوف على جزئية مهمة من هذه الجزئيات لنستكشف بعض أحداث هذه الثورة انطلاقا من شخصيات رواية "اللاز".

فالشخصية هي "كائن حركي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص، ويختلف الشخص عن الشخصية بأنه الإنسان لا صورته التي تمثلها الشخصية في الأعمال السردية"[1] .وبذلك لا تكون العناصر الأخرى في الرواية إلا مظاهر لها، أو راكضة في سبيلها أو دائرة في فلكها "فلا الزمن زمن إلا بها ومعها، ولا الحيز حيز إلا بها، فهي التي تحتويه وتقدره لغاياتها، أما الحدث فليس في حقيقة الأمر إلا بتأثير منها ودافع من سلطاتها وثمرة من ثمرات تصارعها، أو تضافرها وتوادها"[2].

لقد عرفت الرواية الجزائرية ثراء وغنى في عهد الاستقلال سواء من حيث طرائق بناء الأحداث أو من حيث صيغ عرضها، مما يدل على احتكاك الكتاب الجزائريين بتجارب غيرهم

واتصالهم المباشر بالكتابات العالمية العربية منها والأجنبية، فقراءة الأعمال الأدبية للأدباء الجزائريين منذ 1956 تُظهر لنا تعددا في الأساليب الفنية التي صوروا فيها شخصيات متنوعة تنوعا كبيرا. ولعل هذا يعود إلى اختلاف البيئات التي كتب فيها الروائيون رواياتهم، فبناء الشخصية الروائية وتنوع مدلولاتها ورموزها يدل على ثراء التجربة الروائية الجزائرية المعاصرة وإفادتها المبكرة من الأساليب الفنية الجديدة، وانتصارها على الحصار القوي الذي فرضته إدارة المستعمر على المؤلفات الأدبية العربية. ويظهر هذا في روايات الطاهر وطار الذي "يستعمل البطل المضاد ليعكس ما تحتمه الواقعية الاشتراكية"[3]، وخاصة في رواية "اللاز" التي تعرضت للثورة الجزائرية من منظور إيديولوجي. ولذلك سنحاول الغوص في عوالم شخصيات هذه الرواية لمعرفة مدى نجاح الأديب في بنائها أو فشله، ثم نحدد الأبعاد التي عكستها هذه الشخصيات. سواء كانت رئيسة، أو ثانوية، لذا سنحاول أن نبين في هذا المنجز أسماءها وأدوارها حسب أهميتها في تفجير النسيج الروائي.

2 - الشخصيات الرئيسة :

2-1 اللاز: هو بطل الرواية وأبرز شخصياتها المثيرة التي تحمل مسحة من الواقعية، إذ تبدو لنا عملية الخلق الفني لهذه الشخصية أقرب إلى المنطق. وقد استطاع "وطار" عبر هذه الشخصية أن يطور الحدث الروائي ليؤدي لنا هذا الدور المتنامي المشحون بالترميزات المكثفة، ويعد "اللاز" الشخصية الوحيدة التي انخرطت في صفوف الثورة دون حسابات إيديولوجية أو حزبية. وتتمثل الوسائل الفنية المستعملة في بناء هذه الشخصية من الداخل في التركيز على الجوانب الشاذة، كاللواط، السرقة، العنف، وهي الجوانب التي كان لها تأثيران، الأول في غير صالح الشخصية، حين نجدها بأعمالها تلك تثير غضبنا، أما التأثير الثاني فيمثل دخيلة هذه الشخصية الإنسانية التي لها من السلبيات بقدر مالها من الإيجابيات، وخاصة في فترة الطفولة العابثة، والمراهقة الساخطة، وهي بذلك تثير شفقتنا وتحاول إقناعنا بأهميتها وبوزنها الوجودي. وأعتقد أن هذا هو السبب الوحيد الذي جعل اهتمام القراء والنقاد ينصب على شخصية "اللاز" بصفتها "شخصية وجودية، في حين كان

الإهمال من نصيب "زيدان" الشخصية النمطية على الرغم مما بدله الروائي من ترويج لها"[4].

وتجدر الإشارة إلى أن شخصية "اللاز" ذات بعد روحي، بمعنى أنها مشكَّلة من الواقع والخيال، ومن الحلم والحقيقة، ومن الجنون والوعي، تبدأ رحلته بطرح الأسئلة الكبرى في البحث عن هويته وذاته، فهو يسأل نفسه باستمرار: من أنا؟ وتغذيه الأسئلة التي لا يجد لها جوابا، فالآخرون يرون فيه: "هذا اللقيط الذي لا تتذكر حتى أمه من هو أبوه، وكأنها التقطته من الرماد مثل الدجاجة "[5].

نرى من خلال رسم شخصية "اللاز" أن الطاهر وطار هيأ بطله لينتقل من حالة إلى حالة أخرى، من نقيض إلى نقيض، فشخصية "اللاز" كانت شخصية شريرة تعتمد على السطو والسرقة والتهور والاندفاع والاعتداء على الغير، لتكون بداية ثورة "اللاز" على النفس وعلى الآخرين هي الطريق المؤدي إلى الذات. وقد وظف المؤلف هذه الشخصية لترمز للشعب الجزائري بكل شرائحه وطبقاته، فهو كما جاء في الرواية يحمل بذور الحياة كالبحر، بل إنه الشعب برمته، الشعب المطلق بكل المفاهيم.

ويمكن القول: إن "اللاز" بلغ حدا كبيرا من النمذجة الفنية، فهو كما صوره المؤلف "مكابر معاند، وقح متعنت، لا يهزم في معركة، وإن استمرت عدة أيام، يضربه المرء حتى يعتقد أنه قتله، لكن ما إن يبتعد عنه حتى ينهض ويسرع إلى الحجارة"[6]، مما جعل الجميع كبارا وصغارا يهابونه، ويتحاشون الاصطدام به، "اللقيط كلما كبر واعتقد الناس أنه سيهدأ...ازداد سُعاره...بلغ معدل دخوله السجن، ثلاثين مرة في الشهر"[7]. وقد تحولت هذه الشخصية إلى شخصية ثورية مناضلة حين تبين له أن "زيدان" والده حقا، فبعد أن أماط "زيدان" اللثام عن هذا السر الخطير انقلبت حياة "اللاز" رأسا على عقب، بعد أن كان لقيطا شريرا أصبح ابنا لمناضل ثوري، يعمل لصالح الثورة، وكيف لا يحدث هذا و"زيدان" نفسه يعلم علم اليقين أن "اللاز" لا يخون الثورة أبدا.

استجاب "اللاز" لرغبة والده "زيدان" وعمل في خط واضح سليم، واتّبع طريق النضال الثوري، وهرّب المجندين الجزائريين بسلاحهم من الثكنة الفرنسية إلى الجبال. وتطورت شخصية "اللاز" المحورية التي تمثل الشعب الذي اكتشف في لحظة من اللحظات انتماءه العضوي إلى الثورة الشعبية، ودفع دماءه ثمنا لهذه الثورة، مكفرا بذلك عن ذنوبه السابقة، ومطهرا بالدم الزكي عمر الشقاوة الذي عاشه.

يرى "سيد حامد النساج" أن الطاهر وطار يعالج في هذه الرواية دور الشعب العربي في الجزائر معالجة واقعية عميقة وشاعرية، إنه فاق بكثير أقرانه ممن تناولوا مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية، حيث قال: "لقد اختار الطاهر وطار شخصية شعبية جعلها التجسيد الحي العفوي للفضائل والمثالب الخاصة بالشعب الجزائري، وهو يضع مصيره ويسعى إلى حريته بشكل بطولي ومأساوي معا، فـ"اللاز" شخصية أسطورية، يمثل بطولات الشعب الأسطورية التي أفرزتها معارك التحرير، وهو شخصية مظلومة ومستعمرة فقيرة، جاهلة، كما أراد الفرنسيون للجزائريين أن يكونوا كذلك "[8].

وقد أثرت الثورة التحريرية في شخصية "اللاز" بما أحدثته من انقلاب جذري في حياته، فهو لم يكد يتحرر من عالم الصعلكة والتشرد، حتى أحس بأنه إنسان آخر يجب عليه أن يقوم بعمل عظيم يشعره بأهميته في نظر نفسه وفي نظر الآخرين، ويطهره من الإحساس بأنه لقيط منبوذ.

ولا نختم الحديث عن "اللاز" دون أن نشير إلى رسم شخصيته الخارجية التي صورها المؤلف على لسان "زيدان" وهو يتأمل ابنه في ملامحه بعد سنين طويلة من الفراق "وجهه مستدير يميل إلى البياض، أنفه عريض قصير، شفتاه غليظتان، عيناه بنيتان واسعتان تزينهما أهداب سوداء طويلة، وحاجبان متلاصقان، يشبه أمه، وليس فيه من ملامحي سوى الدم، هذه الخدوش المتقاطعة في وجهه لم يلتئم بعضها بعضا، لا شك أنها تؤلمه المسكين، طالما تألم"[9].

رمز الطاهر وطار بشخصية "اللاز" إلى الثورة وإلى الشعب، لذلك نجده اختار طريق التمرد دون تأثير خارجي من أحد، وكان يمثل التعبير الصحيح عن الشعب الجزائري بكل تطلعاته

وطموحاته، كما جاء على لسان قدور متسائلا عن هوية اللاز "ترى من يكون أبوه؟ لا شك أنه ابن جميع الأشقياء"[10].

2-2زيدان: هو والد "اللاز"، ويمثل في الرواية الشخصية المثقفة التي كانت تشتغل ببطء وتجر في طريقها الجزائريين الأحرار. تبدأ حياته من القرية، وقد كان عمره ثماني عشرة سنة عندما قتلت الجبهة قائد هذه القرية، وقد صب المستعمر انتقامه على السكان، فهرب مع ابنة عمه "مريانة" إلى غابة مجاورة، بقيا فيها شهرا كاملا حملت منه خلال هذه الفترة بـ"اللاز"، ثم جند في جيش الاستعمار، وبعد ذلك عاد إلى القرية.

بعدها سافر إلى باريس، حيث تعرف على فتاة فرنسية موظفة فتزوجها، ودخل الجامعة الشعبية بإيعاز منها، ها هو يقول في الرواية: ".. إلى أن وجدت نفسي ذات يوم أدرس الاقتصاد السياسي في الجامعة الشعبية، وببساطة وجدتني في حلقة ماركسية، ثم في خلية شيوعية إلى جانبها"[11]. ثم انتخب في مدرسة إطارات الحزب الشيوعي الفرنسي. وانتقل بعد ذلك رفقة زوجته إلى موسكو ليدخل مدرسة القيادات الحزبية ".. وليلة احتفالنا بتخرجي من الجامعة الشعبية همست سوزان في أذني: سنرحل إلى موسكو للدخول في مدرسة القيادة الوطنية"[12]. وبهذا أصبح "زيدان" محل ثقة من طرف القيادة الشيوعية في فرنسا، ثم من طرف القيادة الشيوعية بعد ذلك في روسيا، وقد استطاع أن يهضم أساليب التسيير والقيادة في مختلف المستويات الجهوية والإقليمية والوطنية. ولذلك ما كادت الحرب العالمية الثانية تندلع حتى عاد إلى الجزائر ليقضي ست عشرة سنة عضوا دائما في الحزب الشيوعي، ثم يلتحق بالثورة، وبعد أن طلبت جبهة التحرير حل كل الأحزاب والانضمام إلى حزب جبهة التحرير، رفض "زيدان" هذا الطلب رفضا قاطعا، واعتبره عملا تعسفيا وإرهابيا، مما جعل الثورة تنفذ فيه حكم الإعدام.

يبدو أن الكاتب قد اهتم بشخصية "زيدان" اهتماما كبيرا، رسمها ببراعة ودقة متناهيتين خاصة بعد عودته من موسكو، حيث اتضحت شخصيته بصورة أكثر جلاء لما تتمتع به هذه الشخصية من فكر وثقافة ووعي سياسي وحس اجتماعي.

إن آراء "زيدان "وأفكاره حول المجتمع والثورة تحتوي على النقاط الأساسية التالية: "يخرج الفرنسيون يفقر الأغنياء وينعدمون، ينام الناس على الشبع، نقرأ كلنا، نتعلم العربية والرومية، بما فيها الإنجليزية والألمانية والروسية، يصبح الحاكم من عندنا، الشامبيط، والخوخة، والقائد، والشرطي منا، نصير فاهمين، نظيفين، جميلين، محترمين، كالفرنسيين لسنا وحدنا نطمح لكل هذا.. أيضا المصريون والتونسيون، حتى الكفار أيضا فيهم من يعاني في مثل وضعنا، ففي الهند الصينية أناس مثلنا، ولو أن دينهم يختلف عن ديننا، كان يحكمهم الفرنسيون فثاروا عليهم وغلبوهم، وهربت فرنسا منهزمة "[13].

والمتأمل في هذا النص يرى أن" زيدان" كان يطمح أن نتعلم ونفهم ونتثقف، ويُرَدّ لنا اعتبارنا فنصبح سادة أحرارا لا يتحكم فينا أي أجنبي، وليكون لنا قوة معتبرة لها وزنها في العالم. وهذا نظرا للانهيار الاقتصادي والثقافي والاجتماعي الذي عانته الجزائر في ذلك الوقت، حيث كان استقلالها ضربا من المستحيل، ولكن بفضل صبر أبنائها وقوتهم وعزيمتهم حولت هذا المستحيل إلى حقيقة ملموسة أبرزت وجودها ومكانتها بين الدول.

هكذا بدأ "زيدان" يبث روح التضحية والثورة في نفوس الجميع ليسمو إلى مستوى عظمة الثورة، وأدرك ثقل المسؤولية، فصب جل اهتمامه على تنمية وترقية عقول جنوده وتهذيب نفوسهم من رواسب الجهل، والعادات الفاسدة، لتنمو إلى درجة عالية من الوعي الثوري والفكر التقدمي. وانطلاقا من هذا طلب "زيدان" من الذين انضموا إلى الثورة أن يقتدوا بالثوار القدماء لامتلاكهم الخبرة، كما طلب منهم التحلي بالأخلاق الفاضلة والمثل العليا التي يجب أن يتحلى بها كل جندي مكافح وثوري مناضل في الثورة التحريرية.

لا شك أن "زيدان" هو الشخصية الوحيدة التي كانت تعتقد بأنها تتفاعل مع الواقع وتسايره من خلال رؤية خاصة اعتبرت الثورة الجزائرية عملا إرهابيا، مما جعل هذه الشخصية شديدة الانتقاد للإيديولوجية الوطنية الممثلة في "الشيخ" الذي كلفته الجبهة بقتله. ومن هنا نلاحظ بروز فكر "زيدان" من السطر الأول للرواية مع أنه لا يظهر على مسرح الأحداث إلا بعد ثلث صفحات الرواية تقريبا، وذلك عندما يلتقي بـ"اللاز " صدفة في محطة القطار.

وإذا أمعنا النظر في شخصية "زيدان" نجد أنها لم تكن مبنية من فراغ، بل يوجد ما يقابلها في الواقع التاريخي، وفي هذا الشأن يقول الطاهر وطار: "لم يكن عمي السعيد(*) يحسن العربية، ولكنه يعبر عن أفكاره وآرائه جيدا، وبصفاء خارق للعادة...كان من العمال المهاجرين في فرنسا، تعلم في مدرسة الإطارات العليا للحزب الشيوعي الفرنسي، وتزوج من كاثوليكية متعصبة، سرق منها ولديهما الجميلين، وهرب إلى تونس، ليهيما للثورة، ويحمل هو السلاح... وقد وظفت جزءا كبيرا من حياته في شخصية (زيدان) في رواية (اللاز)"[14].

ويعلن الطاهر وطار عن الشخصية الواقعية لزيدان في تصريح آخر له قائلا:" كلف بومدين عبد الحميد شايب(**) بالذهاب إلى الأوراس، والتحقيق في مسألة قتل "العيد العمراني" وهو "زيدان" في رواية اللاز"[15].

إن شخصية "زيدان" مستقاة من الواقع التاريخي الجزائري، رمز بها الكاتب لتلك الشريحة من المثقفين المقبولين في الأطر الحزبية، الذين يملكون قناعات غير معلنة تتمثل في الشك في كفاءة جبهة التحرير وجدوى الانضمام إليها، وقد تمت تصفيتهم إبان الثورة التحريرية كما يرى "وطار".

3-2 **حمو:** أخ زيدان، وإحدى الشخصيات المهمة في الرواية لما لها من دور في الثورة التحريرية. نشأ فقيرا معدما، ينتمي إلى الطبقة الكادحة، كان يعمل عند البرجوازي "صاحب الحمام" بثمن بخس، وسط ظروف شاقة، ليعيل أمه وزوجته وأطفاله الثمانية. إلى جانب هذا، فهو لا يكاد يستريح من عناء العمل حتى يتجه لتمضية ما تبقى من الوقت مع بنات العم الثلاثة (داخية، مباركة، وخوخة). لكن "حمو" لم يلبث أن طلق هذه الحياة التعيسة بكل ضنكها وآلامها، ليلتحق بأخيه "زيدان" وينضم إلى صفوف الثورة، فعمل مسبلا يشتري الأدوية والألبسة والأحذية لجيش التحرير، ثم انتقل إلى جمع الاشتراكات والتبرعات، فازداد نشاطه بعد ذلك وصار يبث الحماسة في نفوس المواطنين، ويدعوهم للانضمام إلى الثورة والكفاح ضد العدو الغاصب. وارتقى "حمو" إلى منصب رئيس المسبلين، وقد وصفه الكاتب بقوله: "وكم ذهل قدور حين رأى حمو الفقير البائس يخرج الملايين من جيبه، بينما عائلته تتضور جوعا، ولباسه ممزق، رث كالعادة، بل وعمله الشاق لم يتغير"[16].

أصبح حمو قائدا لإحدى الفرق الفدائية، لكنه عاد بعد الاستقلال إلى القرية، ليصبح مجرد مجاهد بسيط بدون عمل لا يملك شيئا غير شرف الانتماء إلى الثورة. وهو ما يتيح له الانتظار أمام شباك المنح، ويحمله على الصبر أمام خصوم الثورة المتعاونين مع أعدائها، وذلك الموظف الذي كان خارج الثورة، وهو اليوم بيديه الاثنتين يَعُدُّ النقود ليسلمها لمستحقيها، إنها صورة مقلوبة للأمل الذي كانوا يمنون أنفسهم به، ولكنهم الآن مجبرون على تحمُّل الموقف، و"حمو" ينتظر عودة "بعطوش" إلى القرية لعله يساعده في العثور على عمل جديد.

رمز الطاهر وطار بشخصية "حمو" إلى ذلك النموذج من الناس الذين خدموا الثورة بإخلاص، وبذلوا كل ما في وسعهم لإنجاح الثورة التحريرية، وقدموا أقصى ما يملكون من جهد وتعب. وقد كان "حمو" كما تصفه الرواية صاحب إخلاص وأمانة كبيرين، فرغم شدة فقره وتضوُّر أهله بالجوع لم تمتد يداه إلى أموال الثورة التي كانت تُعَدُّ بالملايين، لم ينقص منها دينار واحد، مفضلا الجوع على السرقة والاختلاس كما كان يفعل البعض. واستمر في النضال والجهاد محافظا على المكاسب الثورية حتى نالت الجزائر حريتها واستقلالها، حينئذ وجد "حمو" نفسه في وضعية مزرية أكثر مما كان عليه قبل الثورة، فتبخرت كل أحلامه وتلاشت كل أمانيه وأصبح يعيش عالة على المجتمع.

4-2 **بعطوش:** ينحدر هذا الشاب من جذور اجتماعية فقيرة، ولكنه مفعم بالطموحات والأحلام المريضة، ظل يبحث عن السبيل لطمس مركب النقص لديه، إذ تحول من راعي البقر إلى مجند في الثكنة، وارتقى كما يقول من رتبة رقيب إلى ملازم ثم ضابط كبير. لذلك لا يتورع من أجل تحقيق أحلامه عن ارتكاب أفظع الجرائم ليُرضي ضابطه، فهو " ليس فرنسيا، مع ذلك يأتي أعمالا لا يأتي بها إلا فرنسي مخلص"[17].

كان سجله حافلا بالخيانة والعمالة، باع نفسه للاستعمار مرتزقا، ثم انقلب على الثورة فخانها وكشف أسرارها للعدو، ولم يتوان عن ارتكاب أي جريمة سعيا وراء مآربه الدنيئة، فأحرق دكُّان "الشيخ الربيعي"، وقتل أم اللاز "مريانة"، وضاجع خالته "حيزية" ثم قتلها، كما

ارتكب جرائم أخرى ضد سكان القرية حيث أعدم عشرة من أعوانها فداء للرقيب "ستيفان"، وكان "بعطوش" أشد وحشية وهمجية من الاستعمار.

ونظرا لخيانة "بعطوش" قررت الثورة إعدامه جزاء خيانته، وأتيحت الفرص للقضاء عليه لكنه نجا من الموت، وفي نهاية الرواية يقوم بتغيير مجرى حياته، حيث أقدم على القيام بعمليات بطولية ضد الثكنة، بعدما قام بتهريب كل المساجين والتحق بالثورة ليكفر عن ذنوبه وشروره القديمة، وهكذا تحول في نهاية المطاف إلى مناضل في صفوف جيش التحرير.

ويعود سبب تغير "بعطوش" من خائن إلى ثوري لسببين أحدهما مادي والآخر نفسي، يتمثل السبب المادي في الشعور بالخوف على مصيره، وأن الثورة له بالمرصاد، وسيحين الوقت الذي لن يبقى فيه للألقاب قيمة، أي أن حسه الانتهازي يحدثه عن نهاية دوره لدى الفرنسيين، وقدرة الثورة على الوصول إليه مهما كانت قوة الحراسة حوله. أما السبب النفسي فهو تلك الكوابيس المرهقة التي سكنت أعماقه بعد فعلته الشنعاء مع خالته، حيث أصبح أسير اللذة الجسدية التي شعر بها من جهة، وأسير ضميره -إن كان له ضمير- من جهة أخرى. لكن بعد الاستقلال، يصبح بعطوش من كبار المسؤولين، ويحتل أعلى المناصب في أجهزة الدولة.

رمز الطاهر وطار بهذه الشخصية إلى بعض الخونة، كالحركى والقياد والحراس ونواب المجالس البرلمانية وشيوخ البلديات المتعاونين مع الاستعمار الذين كانوا ضد الثورة، وسجلهم حافل بالخيانة والعمالة والغدر، لكنهم تسلموا أرقى المناصب بعد الاستقلال، وصارت بأيديهم مقاليد أمور البلاد. قال الطاهر وطار: "كانت محافظة الجزائر الكبرى، بعد انقلاب 1965، مؤطرة بعصابة من الجهلة، وأشباه الأميين، وذوي الأخلاق الفاسدة"[18].

1-2 قدور:

هو الصديق المقرب لـ"حمو" وابن "الشيخ الربيعي" شاب ميسور الحال، كان يمارس التجارة في دكانه بالقرية، وكانت له طموحات وآمال وأماني يريد تحقيقها، تتمثل في تزكية

تجارته وتوسيع دكانه، وشراء شاحنة وجرار كبير، وجمع الكثير من المال بعد ذلك للزواج بفتاة أحلامه "زينة" بنت الشيخ "السبتي". لقد كان مرتاح البال في دكان والده يبيع المواد الغذائية ولا يلتفت كثيرا إلى ما يدور حوله من آثار الاستعمار، ولكن مع مرور الوقت يضطر إلى اختيار موقعه، لا مجال للحياد، إما أن يكون مع فرنسا أو مع الجبهة. وباندلاع الثورة تغيرت نظرته للحياة تماما، وثار على طبقة التجار وانضم إلى صفوف جيش التحرير، حيث استشهد في إحدى المعارك ضد الاحتلال الفرنسي، فهو من هذه الناحية بطل طموح يسعى دائما إلى تغيير أوضاعه من حسن إلى أحسن حتى سقط في ميدان الشرف وفاز بالشهادة وشرف الجهاد.

3- الشخصيات الثانوية:

يكون تأثيرها في تحريك المركبة السردية محدودا، وقد وُظّفت لخدمة مسار السرد العام لحبكة الرواية، ومن بين هذه الشخصيات الثانوية نذكر:

3-1 عريف رمضان: تمرد هو الآخر على الجيش الفرنسي والتحق بالمجاهدين في الجبال.

3-2 سي ناصر: إنه الفنان السفاح الذي قتل سبعة أنفس في ليلة واحدة بيد واحدة. كان تاجرا متجولا في الأسواق، ينتقل من مكان إلى آخر عبر السكك الحديدية، ثم انضم إلى صفوف الثورة وارتقى إلى رتبة قائد وحدة عسكرية.

3-3 سي الفرحي: صاحب البغلة الشهيرة التي حملت على ظهرها العشرات من المناضلين دون أن يكشف العدو سره.

3-4 آحمزي: صاحب الإسطبل الذي يأوي المناضلين الذين يلتحقون بالجبال.

3-5 الشيخ سي مسعود: قائد الثوار، وممثل حزب جبهة التحرير الوطني، وهو الذي نفذ حكم الإعدام في المناضل الشيوعي "زيدان".

وهناك شخصيات ثانوية أخرى منها الضابط الفرنسي، القبطان.. وغيرهما.

4- رمزية الشخصيات النسوية:

وظف الطاهر وطار المرأة الجزائرية في هذه الرواية، لكن بطريقة سلبية كشخصية "حيزية" التي جعلها مؤشرا إلى جزائر الماضي، والتي ظلت تنتظر أن يخلّصها شخص ما من ذكرياتها وآلامها، لتحل محلها جزائر جديدة. وكذلك "مريانة" والدة "اللاز" وقد جعلها رمزا للخطيئة التي ارتكبتها مع "زيدان". إضافة إلى "زينة" خطيبة "قدور" التي ظلت تعيش أحلام اليقظة بعد استشهاد "قدور" في إحدى المعارك.

ونجد في مقابل هذه النماذج النسائية الجزائرية نموذج المرأة الغربية، حيث عكس الكاتب فيها كل صفات الحضارة والرقي. ومثلتها الفرنسية "سوزان" صديقة "زيدان"، إذ يرجع لها الفضل في تثقيفه وتكوين شخصيته.

قال الطاهر وطار في هذا الجانب: "المرأة بالنسبة إليَّ رمز، حيث تأتي في الرواية أو القصة لا لتمارس الجنس أو لتنجب الأطفال، أو لتقوم بدورها الاعتيادي الروتيني الذي يظن البعض أنها خلقت له، ولكن توظف لترمز إلى قضية، إلى مثل أعلى، إلى كائن لطيف رقيق يحس بالحرمان أكثر مما يحس به الرجل"[19].

نستنتج من هذا القول إن المرأة في نظر الطاهر وطار لا توظف لمجرد كونها "الآخر" في الرواية، إنما هي رمز لقضية عُليا وسامية، فهي تُسهم بدور كبير في بناء سير الأحداث.

5- أبعاد الشخصيات:

شكلت أحداث الثورة محورا رئيسيا في بناء أبعاد الشخصيات الثلاثة في الرواية، وهي (البعد الثوري، البعد الإيديولوجي، والبعد الاجتماعي).

5-1 البعد الثوري:

يعد هذا البعد من أهم الأبعاد التي عكستها رواية "اللاز" كونها تعبر عن الثورة المسلحة للشعب الجزائري، التي كان لها الفضل الكبير في إظهار الإبداع الروائي للكتّاب الجزائريين.

تتحدد الشخصية الثورية أو البطل الثوري أساسا من خلال النموذج الإنساني الأعلى، الذي يجمع كل المضامين المواكبة للثورة المسلحة التي يقوم بها الشعب المضطهد على أيدي المستعمرين.

ولعل أبرز الكتّاب الجزائريين ممن أجادوا التعبير عن الشخصية الثورية، الروائي "الطاهر وطار"، إذ تكمن قدرته الإبداعية في خلق البطولة الثورية من صلب الصراع. يمكننا من خلال هذا أن نميز البعد الثوري الذي طغى على معظم الشخصيات في الرواية، إذ ظهر بوضوح في الشخصيتين الرئيسيتين "اللاز" و"زيدان"، فـ"اللاز" كشخصية ثورية مزدوجة بين "اللاز الإنسان" و"اللاز الشعب" يعبر عن كل ما يحمله الشعب من آلام وقوة في التغلب على العدو، ويحيلنا سلوكه الاجتماعي اليومي والنضالي إلى الصور الثورية المفعمة بالنشاط والحيوية من أجل إظهاره لذاته التي دحضت في ذات الشعب. ويبدأ إحساس "اللاز" بالثورة من خلال اكتشافه لأبيه "زيدان" رغم عدم شرعية هذا الانتماء، إلاَّ أنه يعبر عن تغيير واضح في البحث عن الحقيقة التي جعلته يتخلى عن ذاته إلى الانتماء الثوري، الذي انطلق من رفضه لوضعه الراهن في كونه لقيطا، يقول في الرواية: "أريد أن أتخلص من اللاز ولد مريانة"[20].

انطلاقا من هذا الحوار الداخلي الذي اعتمده الكاتب للكشف عن دواخل هذه الشخصية وما تعتريها من أفكار ومشاعر، يجد "اللاز" في والده "زيدان" المنتمي للثورة السبيل في التحاقه هو الآخر بها، فراح يرسم الطرق والسبل من أجل الوصول إلى مبتغاه، وهو أن يتخلص من نظرة الناس إليه في كونه لقيطا يحمل كل الشرور. وقد تم له ذلك بعدما أعطاه والده كلمة السر، وهي ذلك المثل الشعبي "ما يبقى في الوادي غير حجاره" ليتصل بعمه "حمو" الثوري، الذي أفشى أمره للضابط الفرنسي الذي كان في علاقة حميمية معه وقد عبر الضابط عن ذلك بقوله: "كلا كلا اللاز.. لن أستغني عنك... لا أستطيع"[21]. لقد أُخِذ اللاز للتعذيب ليعترف لصالح أي جهة يعمل، ولكنه أبدى صموده ليوفر الوقت الكافي لهروب "قدور"، وهذا يدل على نمو الروح الثورية العالية في نفسه وتحمله مسؤولية الجميع في

التنظيم السري والسير المرسوم للثورة المسلحة، ويظهر في قوله:" لا لا.. لن أعترف وإن اقتضى موتي تحت التعذيب، لن أسلّم اللاز الحقيقي مهما كان الثمن، لا أستطيع ذلك"[22]. وتم تهريب "اللاز" من الثكنة العسكرية بفضل فرقة مسلحة من الثورة بقيادة القائد الثوري "رمضان"، ليلتحق بوالده "زيدان" والثورة في الجبل، ليصبح ثوريا بصفة مباشرة تحت قيادة والده. وكان في كل مرة وأثناء تنقلهم بين مناطق الجبل يتمنى لو تقع معركة بينهم وبين العدو حتى يُفرغ فيهم بندقيته المملوءة بالأحقاد والكره قائلا: "أتمنى أن نخوض معركة في هذا الجبل"[23]. وتبدو الروح الثورية لدى "اللاز" كذلك في قول الكاتب: "اعتدل اللاز خلف الصخرة في وضع المعركة وتأمل بندقيته، ثم مسحها براحته في رفق، وهوى بشفتيه يرسم عليها قبلة حارة.."[24].

استخدم الكاتب ضمير الغائب من أجل أن يصور لنا حالة "اللاز" الثورية في تأهبه لوضع المعركة التي كان يتصور وقوعها، إذ مرر من خلاله ما يشاء من أفكار جعلت الروح الثورية له تنطبق مع الروح الثورية لـ"اللاز"، والأكثر من هذا -كما ذكرنا سابقا- أن "اللاز" هو ثورة الشعب الجزائري، وهذا يكفي لأن تتحمل هذه الشخصية الرئيسية روحها وروح الشعب وروح الثورة، هذا ما جاء على لسان زيدان قائلا: "أدركْتَ الثورة، وأدركْتَها عملا، وأدْرَكَتكَ روحا"[25]. وحتى عندما فقد "اللاز" وعيه بمشاهدته إعدام والده بقي متعلقا بشيء من الثورة، ألا وهو ذلك المثل الذي لا يفتأ يردده "ما يبقى في الوادي غير حجاره"، ويدل على أن الشيء الذي لا يمكنه التحول والتغير ولا يعرف الزوال أبدا هو "الشعب شبيه حجارة الوادي بعد نهاية جريان السيول وتبخر مائها، فإنها تبقى معلنة صمودها في عناد"[26].

إن "اللاز" في النهاية هو نموذج البطل الثوري الشعبي الذي تجمّعت فيه كل آمال الشعب الجزائري، فهو شخصية واقعية، كانت أعماله مرآة لنفسه المتحدية، ونضالا من أجل الشعب الجزائري الذي يحمل "اللاز" في طياته جميع بذوره.

أما "زيدان" فإن بعده الثوري ينطلق من خلال اندماجه الفعلي والمباشر بالثورة في الجبل وقيادته لكتيبة عسكرية، وقد قدَّمه وطار كبطل ملحمي تراجيدي مشحون بالقوة والتحدي، وذلك للتمتع بكل خصائص وقدرات البطل المأساوي الذي يواجه مصيره بحسم.[27]

لقد مثل "زيدان" الشخصية الثورية أكثر من غيره، إذ تنبع من إيمان روحي فلسفي وثقافة عالية جعلت منه ذلك الأحمر الذي وصفه الضابط الفرنسي باللعين قائلا: "يَقين أن الأحمر اللعين يخطط لهم، تدرب في صفوفنا وتثقَّف في مدارسنا، وسبقتنا إليه موسكو..."[28]

لهذا اتهمت فرنسا "زيدان" بأنه وراء جميع العمليات العسكرية الموجعة التي استهدفت وجودها، لأنه يملك كل الصفات القيادية التي جعلته موضع ثقة مجموعته. كما جعل الناس ينسبون إليه أمر تنظيم وتوجيه جميع الشباب في التحاقهم بالثورة، فزيدان -الأحمر- وفقا لتسمية العامة له، هو الذي يجمع كل الشخصيات الأخرى في الرواية لأنه المسير الكلي للأمور الثورية. ومن بين هذه الشخصيات "حمو" الذي تأثر بأخيه "زيدان" إذ يقول: "زيدان مريض، ضائع، أهلكته السياسة، كل يوم في مكان، عجزت عن فهم ما هي السياسة، هذه التي تهلك رجلا مثل زيدان"[29].

حتى ابنه "اللاز" تأثر به رغم بعده عنه، ونلمس هذا التأثير في قوله: ".. ترى لماذا هو أحمر؟ أَلأَنَّه يشتغل بالسياسة ويحقد على الأغنياء؟ إذن فأنا بدوري أحمر.. رغم عدم معرفتي للسياسة"[30].

وبرهن "زيدان" على ثوريته بإعلانه أمام "الشيخ" أنه التحق بالثورة دون أي دافع سياسي "اليوم التحقت بالثورة، لم أستشر أحدا. لا الحزب ولا غيره، رغم أنني عضو اللجنة المركزية"[31]. وكذلك حين أعلن عدم انفصاله عن الحزب الشيوعي المنتمي إليه، وفاء للثورة كي لا يجعل الصراع يحتدم بينه وبين "الشيخ" مما يعني عرقلة الكفاح المسلح، ولهذا سلم عنقه للذبح.

وفي مجال التخطيط الثوري اعتمد "زيدان" حرب العصابات وشن الهجومات المتتالية على مراكز العدو المختلفة في جميع الاتجاهات، وذلك لزرع الرعب والهلع في قلوب الأعداء، والحصول على أكبر كمية من الأسلحة والعتاد الحربي، ومثال ذلك قول الكاتب: "جمع زيدان وحدته على بعد بضع مئات أمتار من كوخ سي الفرحي، ثم قسمها إلى أربع فرق صغيرة، ثلاث تتكون كل واحدة منها من سبعة جنود. الأولى تذهب إلى الناحية الشمالية، لتحطم المركز الكهربائي، وخزان الماء، والجسر رقم 17"[32].

يُظهر لنا هذا النص قدرة "زيدان" الفائقة في التخطيط والتفكير، إذ نجده يملك أفكارا صائبة في تحليل شخصيات جنوده، فيقول مثلا عن العريف "رمضان" –حينما فر من الثكنة العسكرية إلى جيش التحرير الوطني-:"من إذن يا ترى؟ الكبران رمضان؟ لكن ذاك لم يأتنا سوى البارحة، ولم أقتحم أعماقه بعد.. يبدو أنه صالح للقيادة، إلا أنه من الضروري أن يختبر أولا حرب العصابات"[33].

لا شك أن اللغة الحوارية التي استخدمها وطار من خلال هذا المنولوج الداخلي تتناسب مع أوضاع الشخصيات المختارة خاصة من الناحية الثورية الموافقة للبعد الثوري، والتي تفرض على الراوي أن يصف لنا الحالات المختلفة التي تمر بها الشخصيات مثل حالة "زيدان" الثورية في قوله: "قل لحمو أن يخبر الهامين فقط، ويدع من لا يعرفون أي سر. يجب أن يفهم الناس أن فرنسا ليست خطرا على المقاومين في الجبال فقط بل على جميع الناس. ويجب أن ندفع ثمن هذا يا اللاز هل فهمت؟"[34].

إن "اللاز" و"زيدان" هما أهم الشخصيات الثورية، وهذا ما جعل باقي الشخصيات الأخرى تلتف حولهما رغم ما صرح به وطار من طغيان شخصية على أخرى، فالأدوار تتساوى داخل العمل الروائي وذلك نابع من قناعاته الفنية، حيث قال أحد الدارسين: "في الرواية توجد شخوص ثانوية بالمعنى الدقيق للكلمة، إن "بعطوش" أو "حمو" أو "الشيخ" في "رواية اللاز" يمكن إدراجهم في الحقيقة كشخوص ثانويين، كما أنه من الصعب تحديد أي الشخصيتين أكثر أهمية "اللاز" أم "زيدان"[35]. وتبعا لهذا التصريح نجد أن البعد الثوري حاضر في معظم

الشخصيات، "حمو" أخ المناضل الكبير "زيدان"، والذي أثر فيه هذا الأخير بدرجة كبيرة حتى صار أحد قادة الفرق الفدائية، بعد اقتناعه بضرورة وحتمية العمل الثوري وهو ما حاول أن يرسخه في صديقه "قدور"، واتضح ذلك حين قال له: "اسمع. أنا لم أبدأ في تتبع السياسة إلا منذ وقت قصير، لكن أخي زيدان أفهمني كل شيء"[36]. لقد أدى "زيدان" دورا واعيا في الرواية إلى جانب "قدور" الذي لم تتضح عنده الرؤية الثورية في بادئ الأمر إلا بعدما أقنعه "حمو" بضرورتها "لم يعد أمام الناس أي اختيار، إما الالتحاق بالثورة أو البقاء أمام التعذيب الفرنسي"[37]. وقد صَعُب الأمر على "قدور" غير أنه التحق بالثورة في الجبل، وراح يساعد المجاهدين في تهريب الجنود من الثكنة، وتجنيد الأفراد الجدد في العمل المسلح، وجمع المال والذخيرة الحربية.

2-5 البعد الإيديولوجي:

حملت رواية "اللاز" بعدا إيديولوجيا واضحا جسده وطار في شخصية "زيدان"، وهي سمة غلبت على معظم إنتاجات الكاتب الروائية انطلاقا من قناعته بالتوجه الاشتراكي.

تظهر شخصية "زيدان" في بادئ الأمر من الناحية الفكرية، ذلك الرجل الأمي الذي لا يعرف شيئا من الأخلاق الاجتماعية والدينية، ولا يلبث على هذه الحالة بل يتغير إلى الأحسن، إذ يصبح على قدر من النضج الفكري والإيديولوجي ويغذو ذلك الشاب الجزائري المثقف الملتزم العارف بكل قوانين السياسة. واكتسب فكره الإيديولوجي بانتمائه للحزب الشيوعي في فرنسا عندما هاجر إليها عن طريق "سوزان" الوجه الآخر لفرنسا التي أوصلته إلى هذه الدرجة العالية من التفكير، حيث قال: ".. وببساطة وجدتني في حلقة ماركسية، ثم في خلية شيوعية إلى جانبها، وليلة احتفالنا بتخرجنا من الجامعة الشعبية همست سوزان في أذني: سنرحل إلى موسكو، للدخول إلى مدرسة القيادة الوطنية"[38].

والملاحظ أن هذا التدرج والتنامي في شخصية "زيدان" من إنسان أمي إلى مثقف منتمٍ للحزب الشيوعي في فرنسا، ثم في موسكو، ثم العودة إلى أرض الوطن للمشاركة في الثورة المسلحة، والانضواء تحت فكر الحزب الشيوعي الجزائري، وقد مثل الشخصية الإيديولوجية

بصفة خاصة والإيديولوجيا بصفة عامة، وساعدته ثقافته لأن يطرح قضية الثورة الجزائرية طرحا عقائديا فلسفيا تنبأ فيها بالمستقبل من خلال ذاته الواعية بالتاريخ إذ يقول: "الموقف المبدئي لكل حزب عقائدي ألاّ يحل نفسه، وفي مثل هذه الظروف لابد من أسس واضحة وشروط، أبسطها وضع ميثاق عمل وطني، يساهم في تحريره.. ومبدأ الاستقلال الوطني. ألا يكفي كميثاق؟"[39].

والإيديولوجيا التي تميز بها "زيدان" تعدت نطاق الوطن الأول (الجزائر)، لتشمل العالم ككل من خلال جعل الكاتب خمسة من الأجانب الأوروبيين ينخرطون في صفوف الثورة التحريرية، ويتخذون القرار نفسه الذي اتخذه "زيدان" والمتمثل في استمرارهم في تأييد الحزب الشيوعي والانتماء إليه، وذلك حينما عرض عليهم "الشيخ سي مسعود" التخلي عن حزبهم والالتحاق بالثورة، أو الذبح إن أصروا على موقفهم ولم يرضخوا لمطلبه، ولم يرضوا به، وفضلوا التضحية بدمائهم من أجل بقائهم شيوعيين. كما جاء في هذا الحوار:

"-أنا شخصيا لم ألتحق بالجبل باسم حزبي.

تَمتمَ الباقون، كل على حدة، فعلق الشيخ في هدوء تام: رغم أنه لا مجال للنقاش فإنني أسألكم، وخاصة أنت يا زيدان، هل انسلختم عن الحزب قبل ذلك؟

- ولكن اسمح لي، هل يوجه هذا السؤال إلى كل من يلتحق بنا؟ أنت مثلا هل أعلنت انسلاخك من حزبك أم اكتفيت بالالتحاق بالجبل فقط.

أسرع زيدان في التعليق على سؤال الشيخ الذي رمقه بنظرة ساخرة، في حين بادر القبطان الإسباني:

- ولكن ما الداعي إلى هذا الانسلاخ المطروح علينا هكذا؟

- آه. نعم. هذا سؤال موضوعي. لقد قررنا حل الأحزاب جميعها وتكوين جبهة موحدة.."[40].

من خلال هذا الحوار الذي دار بين "زيدان" الشيوعي و"الشيخ سي مسعود" المعارض له والمساجين الذين سجنهم وذبحهم مع "زيدان"، مرر لنا الكاتب عبر ضمير المتكلم انتماءه الشيوعي متخذا من "زيدان" الممثل الوحيد له. وهذا ما صرح به إذ قال:" أنا شيوعي، أؤمن بشيوعية غير الشيوعية التي نعرفها. شيوعية لا خصومة لها لا مع الله، ولا مع المؤمنين به، لا تتعارض، بل تتكامل، مع الأنبياء ومع الرسائل السماوية. شيوعية تؤمن بأن لكل جيل من الأجيال رأيا في مصيره.. تؤمن بالدورة التاريخية للمجتمعات"[41]. بهذا التصريح يضع الطاهر وطار بصمة واضحة في الكتابات التي صُنّفت ضمن الواقعية الاشتراكية المكتوبة باللغة العربية.

مما لا شك فيه أن رواية "اللاز" عكست تلك الصراعات السياسية والحزبية التي وقعت أثناء الثورة، والتي بلغت مستوى القمة على -حد تعبير فرحات عباس- حين قال: "كنت مصعوقا بفعل الصراعات الحاصلة على مستوى القمة"[42]. كما صورت بالتحديد الصراع الإيديولوجي الحزبي بين جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي. وفي هذا المجال قال الطاهر وطار:" كنت أنهمك في كتابة رواية اللاز، التي تعالج وضع الشيوعيين الجزائريين أثناء الثورة التحريرية، في حين تتواصل مطاردتهم حتى اليوم.[43]

3-5 البعد الاجتماعي:

عكست رواية "اللاز" أبعادا اجتماعية متعددة، تنطلق من تصوير حياة الناس العادية التي يكسوها الفقر والحرمان والذل، فجل الطبقات الاجتماعية المكونة للمجتمع الجزائري في ذلك الوقت كانت تعاني ويلات الفقر الذي فرضه المستعمر عليها. وأولى تلك المشاكل التي نتجت عن الاحتلال مشكلة استرجاع الوطن والأرض بكل السبل والطرق، فالأرض هي الوحيدة التي تستطيع جمع كل أبناء الوطن الواحد، وأدى اغتصابها إلى تفشي الآفات الاجتماعية، وانقسام المجتمع الجزائري إلى عدة طبقات مختلفة منها الطبقة الغنية المكونة من المعمرين بمختلف جنسياتهم، وقلة من الإقطاعيين الذين ساندوا الاستعمار، أما الطبقة الغالبة فهي الطبقة الفقيرة التي تعيش أوضاعا مزرية.

ومن بين الشخصيات التي جسدت مظهر الفقر والحرمان "حمو" هذا العامل البسيط الذي لا يكاد يكسب أجرا يسد به رمقه، إذ نراه دائم الشكوى من وضعه العائلي، ومن عمله المرهق في كهف ضيق وسط الأدخنة يصارع الفرن ليسخن ماء الحمام، ومثال ذلك قوله: "يا ابن عمي هذه والله ما هي خبزة. أربعون دورو في اليوم، وأربعة عشرة فما مفتوحة. الدقيق بعشرين دورو للكيلو.. والزيت بأربعين، والصابون بخمسة عشرة القالب، وزد وزد.. معيشة كلاب والله"(44).

يقدم لنا الكاتب صورة اجتماعية أخرى متصلة بوضعية "حمو"، وهو "المعلم" صاحب الحمام الذي يمثل البرجوازية الصغيرة ولا يعرف ما يجري في بيته، فبناته اللواتي في بيته (المصائب الثلاث) أرملتان وبكر كما نعتهن الكاتب يتزاحمن على هذا الشاب "حمو"، بحيث صورهن تصويرا واقعيا بارعا قصد من ورائه الحط من البيئة البرجوازية الصغيرة في المجتمع الضيق.

والحقيقة أن الطاهر وطار في رواية "اللاز" قد التحم بالواقع الشعبي إلى أبعد الحدود، وصور مأساة وبؤس الطبقات الكادحة، وبين دور الاستعمار في تدهور القيم والأخلاق الاجتماعية السائدة في المجتمع الجزائري، إلى جانب اهتزاز العلاقات الأسرية الذي أدى إلى ظهور أفراد وأناس يعيشون تمزقا وبعدا وتشردا في جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وعليه جاءت الرواية مليئة بهذه الشخصيات، منها (اللقيط والمشرد والخائن والعميل..)، وتعيش هذه النماذج في صراع وتعارض دائمين مع بعضها.

جسد "اللاز" النموذج الواضح للتشرد "اللقيط" نبذته القرية لذنب لم يرتكبه، فأصبح رمزا للشرور والقبح والمكر، وكان يشعر بعمق هذا الجرح في نفسه. انعكس ذلك على أفعاله وأعماله وأصبح يبطش بأهل القرية التي يسكنها انتقاما منهم "اللقيط كلما كبر واعتقد الناس أنه سيهدأ، أو على الأقل تخف وطأته، ازداد سعاره، ونمت فيه شرور، لم تكن لتتوقع.."(45). هذا فيما يخص المظاهر الاجتماعية المتدهورة التي صورها الكاتب في الرواية، أما نظرة الشخصيات للمجتمع فتظهر من خلال الحوارات الخارجية المتواجدة بكثرة أيضا، وتوضح

نوع العلاقات الاجتماعية التي تربط الشخصيات بمستواها الاقتصادي والاجتماعي، كهذا الحوار الذي دار بين "حمو" و"قدور":

"- خبزة مرة والعياذ بالله.

- إيه، واحد محروم، وآخر كافر بنعمة الله.. أنت تتألم لعشق ثلاث، وأنا.. هذه الدنيا.

- وأنت أين وصلت مسألتك؟

- ناشفة يا ابن عمي، حق ربي ناشفة.

- أنت أيضا تحلم بحب الملوك.."[46].

كما ركز المؤلف على شخصية "زيدان" الذي عاش في الغربة بعيدا عن الوطن، حتى تغرّبت أفكاره ومواقفه التي اكتسبها بين "باريس وموسكو" وبين باقي الشخصيات المختلفة الثقافات، منها من هو خريج "الكتاتيب، المحراث، الفرن، البندقية" بحيث انعدم التوافق بين الطرفين "زيدان" وباقي الشخصيات التي تمثل مختلف الطبقات الاجتماعية، وفي هذا المجال يقول زيدان: "مجتمع أشد تخلفا من مجتمعات القرون الوسطى... مجتمع تطمسه البداوة...مجتمع رعوي ضارب في التأخر والانغلاق"[47].إن نظرة "زيدان" للمجتمع الجزائري في تلك الفترة انطبعت بالتشاؤم، على خلاف ما كان يراه وهو في بلاد الغربة إذ يقول في هذا الصدد "محمد بشير بويجرة": "نحن مع الروائي في شدة وتخلف وانغلاق المجتمع الجزائري في تلك الفترة، لكننا نعجز عن تقديم تقرير حاقد وجائر ومتشائم مثل الذي قدمه زيدان والذي لا يضاهي إلا الأوروبيين على المجتمعات الاجتماعية الإسلامية قصد الإساءة للعروبة والإسلام"[48].

لا شك أن الفضاء النصي الذي شغله البعد الاجتماعي للشخصيات يصور لنا بصفة عامة الوضع الاجتماعي للجزائر في عهد الثورة، ويبرز أنه وضع غير مريح بالنسبة للأشخاص الذّين ينتمون لشريحة البرجوازية الصغيرة، والتي يقدمها الكاتب على أنها هي وحدها التي

دفعت ثمن التناقض الاجتماعي والصراع الطبقي الناجم عن تلك الأوضاع. **خاتمة:** بعد هذا الغوص في أغوار شخصيات رواية "اللاز" خلصنا إلى نتائج أبرزها: - **تعد شخصية "اللاز" شخصية ثورية بامتياز، حولته ظروف الحياة من عربيد إلى رمز للمقاومة والثورة الجزائرية والصمود في وجه الأعداء، فهو الشخصية المحورية التي دارت حولها أحداث الرواية، وبهذا فهو يمثل شخصية البطل فيها.** -

- بعد القبض على "اللاز"، تطورت الأحداث وأخذت بعد ذلك أبعادا كثيرة، كشفت عن شخصيات عديدة مرتبطة بـ "اللاز"، شخصيات مؤيدة له و مرتبطة معه عن طريق النضال وتأييد أفكار الثورة الجزائرية التي تتمثل في مقاومة المستعمر الفرنسي، وشخصيات خائنة مؤيدة للمستعمر الفرنسي، تكره "اللاز" وتتمنى موته، وهدفها الوشاية بالمقاومين ليتم إلقاء القبض عليهم وإفشال مخططاتهم الجهادية.- **استطاع الكاتب أن يجعل من شخوص روايته بكل أطيافها مادة خصبة للغوص في تفصيلات المقاومة والنضال سواء كانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إذ تفنن في استثمار الأحداث التاريخية، وتعامل معها تعاملا مزج فيه بين الواقع الثوري والمشهد التخيلي الذي يفسح المجال لمعطيات إنسانية تقترب مما هو خرافي أو أسطوري.**

- استطاع الكاتب أن يجعل من القارئ العامّي الذي تلقن التاريخ معلوماتٍ مجردة، يعيش الأحداث بمنظورٍ يقرب صورة الواقع من مخياله، وهذا من خلال الرمزية الجميلة التي حوتها الرواية من خلال الربط بين المفاهيم، الأفكاروالأشخاص في سياقٍ تاريخيٍّ، على هذا النّهجِ تحدّث الكاتب في الرواية، عن "قدور" الذي لم يدركيف اِنضمّ وأصبح فردا من أفراد الثورة، وهو الذي كان حاله ميسورا مقارنة بالفقراء المعدمين الذين كانوا مضطرين لذلك، في وقت لم يكن فيه مكان للحياد، إما الخيانة وإما الانتماء. تخلى عن أحلامه البسيطة ليصعد في النهاية للجبل حين اكتشف أمره . "بعطوش" الحركي العميل، الذي نجا أيضا في النهاية، وربما قد نال مركزا مهما بعد الاستقلال، ونماذج أخرى كثيرة، من الضباط والشخصيات الثانوية الأخرى، التي تشكل صورة كلية ضرورية لتخيل الوضع.

- استطاع الطاهر وطار أن يكسر الصورة النمطية عن الثائر، موضحا أن الهدف النبيل (تخليص الوطن من المستعمر) شامل للكل، وهذا من خلال نسجه لحكمة جمعت مختلف أشطار الثوار، وصراعاتهم الداخلية والخارجية واختلاف فكرهم وخلفياتهم.

- اتخذ الطاهر وطار الثورة الجزائرية بكل ما تزخر به من تضحيات جسيمة وانتصارات مادة لمسرح قصته، فرسم بريشة الفنان الأصيل والمجاهد في الوقت نفسه المفعم بروح النضال والثورية صورة واقعية جميلة عن حقبة من أجمل حقب تاريخنا المجيد

الهوامش:

[1]- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص125.

[2]- المرجع نفسه، ص127.

[3]- جهاد فاضل: وجها لوجه مع الطاهر وطار، مجلة العربي، الكويت، ع446، جانفي1996، ص 68-69.

[4] - محمد بشير بويجرة: الشخصية في الرواية الجزائرية 1970-1983، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (دت)،ص119.

[5] - الطاهر وطار: اللاز، دار موفم للنشر، الجزائر،2007ص10.

[6] - المصدر نفسه، ص10.

[7] - المصدر نفسه، ص10.

[8] - سيد حامد النساج: بانوراما الرواية العربية الحديثة، مركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، ط1، 1982، ص255.

[9]- الطاهر وطار: اللاز، ص177.

[10]- المصدر نفسه، ص44.

[11]- المصدر نفسه، ص165.

[12]- المصدر نفسه، ص165.

[13]- المصدر نفسه، ص37.

* السعيد صيفي أستاذ بإحدى المدارس التونسية، وعضو في الحزب الشيوعي التونسي، طُرد من الساحة السياسية من قبل الرائد قاسي التونسي، ينظر الطاهر وطار: أراه..الحزب وحيد الخلية، دار الحكمة، الجزائر، 2006، ص08.

[14] - المصدر نفسه، ص07-08.

** عبد الحميد شايب صحفي في جريدة الشعب الجزائرية، وعضو في الجمعية التونسية للمتصرفين في الأرشيف، 2006-2009.

[15] - الطاهر وطار: أراه..الحزب وحيد الخلية، الكتاب الأول، ص42.

[16] - المصدر نفسه، ص42-43.

[17] - المصدر نفسه، ص105.

[18] - الطاهر وطار: أراه..الحزب وحيد الخلية، الكتاب الأول، ص12.

[19] - علي رحماني: قراءة في ضوء المفاتيح السيميائية لرواية اللاز للطاهر وطار، مجلة قراءات، وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ع1، 2009، ص185.

[20] - الطاهر وطار: اللاز، ص53.

[21] - المصدر نفسه، ص61.

[22] - المصدر نفسه، ص77.

[23] - المصدر نفسه، 157.

[24] - المصدر نفسه، ص168.

[25] - المصدر نفسه، ص207.

[26] - الطاهر بلحيا: التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، (دت)، ص65.

[27] - ينظر: إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص64.

[28] - الطاهر وطار: اللاز، ص69.

[29] - المصدر نفسه، ص22.

[30] - المصدر نفسه، ص79.

[31] - المصدر نفسه، ص163.

[32] - المصدر نفسه، ص81.

[33] - المصدر نفسه، ص141.

[34] - المصدر نفسه، ص56.

[35]- إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص62.

[36]- الطاهر وطار: اللاز، ص36.

[37]- المصدر نفسه، ص41.

[38]- المصدر نفسه، ص165.

[39]- المصدر نفسه، ص162.

[40]- المصدر نفسه، ص179-180.

[41] - الطاهر وطار: أراه..الحزب وحيد الخلية، الكتاب الأول، ص43-44.

[42] - عبد القادر حميد: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص161.

[43] - الطاهر وطار: أراه..الحزب وحيد الخلية، الكتاب الأول، ص41.

[44] - الطاهر وطار: اللاز، ص22.

[45] - المصدر نفسه، ص10.

[46] - المصدر نفسه، ص24.

[47] - المصدر نفسه، ص88.

[48] - محمد بشير بويجرة: الشخصية في الرواية الجزائرية، ص53.

*** *** ***